مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2709-0302 (online)
ISSN: 2617-5908 (print)

التواصل الثقافي – الديني بين الحضارات، ودور المخطوط العربي الإسلامي المحفوظ في مراكز مخطوطات الجامعات الأوروبية في التواصل بين الحضارتين (جامعة برمنغهام نموذجًا) (*)

د/ وفاء عبدالعزيز الزامل
أستاذ الحديث وعلومه المشارك
جامعة الأميرة نوره بنت عبدالرحمن – السعودية

*) تاريخ تسليم البحث 8/1/2024 تاريخ قبوله للنشر 12/2/2024
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

التواصل الثقافي – الديني بين الحضارات، ودور المخطوط العربي الإسلامي المحفوظ في مراكز مخطوطات الجامعات الأوروبية في التواصل بين الحضارتين (جامعة برمنغهام نموذجًا)

د/ وفاء عبدالعزيز الزامل
أستاذ الحديث وعلومه المشارك
جامعة الأميرة نوره بنت عبدالرحمن – السعودية

الملخص

يهدف هذا البحث إلى بيان أهمية التبادل الثقافي بين التواصل بين الحضارات، والبحث عن أهم المخطوطات الإسلامية والعربية الموجودة في جامعة برمنغهام، والسعي إلى إظهار أهمية التراث العربي والإسلامي من خلال مراكز المخطوطات الغربية.

وقد اعتمدت الباحثة في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، وتضمن البحث مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

الفصل الأول: أساسيات البحث، الفصل الثاني: البعد الثقافي في الحضارة الإسلامية، وأثرها في الحضارات الأخرى، الفصل الثالث: المخطوطات وأثرها في التواصل بين الثقافات.

ثمَّ توصلت الباحثة إلى جملة من النتائج المتعلقة بموضوع البحث، والتي من أبرزها: الثقافة الإسلامية في بناء الهوية تتمثل في: التركيز على خصائص الأمة الإسلامية وحمايتها من الضياع، والحفاظ على شعوب الوطن الإسلامي وتوحيدهم بصورة تضامنية موحدة ضمن ثقافة إسلامية مشتركة، والاهتمام بموضوع الأمان النفسي للأفراد، وتقوية طبيعة الانتماء إلى الدين الإسلامي بغض النظر عن اختلاف لغات وأعراق المسلمين. وعملية التواصل الثقافي تعد عملية ضرورية بحيث تتصل ثقافة أمة بثقافة أمة أخرى عن طريق الأدب، والفن، والفكر بحيث أنَّ التواصل الثقافي يشتمل جوانب متعددة ولا يقتصر على جانب دون غيره، وتعد جامعة برمنغهام ومكتبة كادبوري من الرواد في مجال تعزيز التواصل بين الثقافات المختلفة من خلال جهود مستمرة تهدف إلى فتح قنوات التفاهم والتواصل بين أفراد المجتمع العالمي.

الكلمات المفتاحية: التواصل الثقافة، الحضارات، المخطوطات، جامعة برمنغهام.

Cultural communication between civilizations and the role of the Arabic Islamic uk. manuscript preserved in the manuscript centers in European universities in the communication between the two civilizations The University of Birmingham as a mod

Dr. Wafaa Abdulaziz Alzamil
Associate Professor of Hadith and its Sciences
Princess Noura bint Abdul Rahman University - Saudi Arabia

Abstract

This research aims to demonstrate the importance of cultural exchange between communication between civilizations, search for the most important Islamic and Arabic manuscripts located at the University of Birmingham, and seek to demonstrate the importance of Arab and Islamic heritage through Western manuscript centers.

In this research, the researcher relied on the descriptive and analytical method. The research included an introduction, three chapters, and a conclusion.

Chapter One: Basics of Research, Chapter Two: The Cultural Dimension in Islamic Civilization and Its Impact on Other Civilizations, Chapter Three: Manuscripts and Their Impact on Intercultural Communication.

Then the researcher reached a number of results related to the subject of the research, the most prominent of which are: Islamic culture in building identity is represented by: focusing on the characteristics of the Islamic nation and protecting it from loss, preserving the peoples of the Islamic homeland and uniting them in a unified, solidary way within a common Islamic culture, and paying attention to the issue of psychological safety. For individuals, and strengthening the nature of belonging to the Islamic religion, regardless of the differences in languages and ethnicities of Muslims. The process of cultural communication is a necessary process in which the culture of one nation is connected to the culture of another nation through literature, art, and thought, so that cultural communication includes multiple aspects and is not limited to one aspect alone. The University of Birmingham and Cadbury Library are among the pioneers in the field of enhancing communication between different cultures through... Continuous efforts aim to open channels of understanding and communication between members of the global community.

Keywords: Communication, culture, civilizations, manuscripts, University of Birmingham.

المقدمة:

الحمد لله الذي خلق البشر فجعل منهم نسبًا وصهرًا، فصاروا بذلك أجناسًا وأعراقًا، وتنوعت علومهم، وتباينت فهومهم، وجعل منهم شعوبًا وقبائل فتعارفوا، والصلاة والسلام على نبي الإنسانية، وملهم البشرية محمد بن عبد الله، وعلى أصحابه أولي النعمة البهية وعلى آله أصحاب النسبة الزكية. أما بعد:

يعد التواصل الحضاري والثقافي ضرورة إنسانية، وفريضة وجودية في ظل التقارب الجغرافي والمعرفي والفكري بين الحضارات المختلفة، فالتطورات التكنولوجية في وسائل الاتصالات الحديثة سهلت الوصول إلى هذه الدرجة من الاندماج. ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث حيث يسلط الضوء على مدى فاعلية التراث القديم في إثراء التقارب بين الحضارات عمومًا، والحضارتين العربية والغربية خصوصًا.

إنَّ التعارف والتواصل البشري والإنساني مقصد شرعي، ومطلب فطري أكده الخالق في قوله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: ١٣].

ولا شك أنَّ هذا التعارف يشمل جميع الجوانب الإنسانية الدينية والاقتصادية والثقافية والمعرفية والفكرية، والهدف الذي تسعى إليه البشرية منذ خلقها الله.

كما لا شك أنَّ العلم سبيل من سبل التّقارب بين الحضارات؛ ذلك لأنّ التّقارب أمر ممكن، فالحضارات مهما تعدّدت واختلفت، فإنها في الأصل قد تأثرت ببعضها، وأخذت عن بعضها لأنّه ليس هناك حضارة معزولة عن الأخرى، ولا يمكن أنْ تُنعت بكونها حضارة إلا عند لقائها بالحضارات الأخرى، ذلك أنّ أيّ حضارة مَا سواءً البائدة منها أو الباقية على قيد الحياة ليست شيئًا ساكنًا أو جامدًا وإنما هي كيانات متحرّكة، وتظهر حركيتها في مدي قدرتها على الاستجابة إلى التّغيّرات الحاصلة أو التي ستحصل في العالم وخاصّة في هذا العصر الذي بلغت فيه بعض الحضارات قمّة التّقدّم في مختلف المجالات.

وعلى الصعيد الديني لا شك أنَّ الإسلام يرى أنَّ تبادل الثقافات وتنوع المجتمعات جزء من مقاصد خلق البشرية، فقد تزايدت العلاقات البشرية في هذا العصر أكثر من غيرها من العصور، وهذا يستدعي من منظور إسلامي إرساء مبادئ الإخوة والحوار، فيسود بذلك الأمن والسلام والاطمئنان.

أما عن ضوابط هذا التواصل، فتندرج ضوابطه من خلال المعايشة والانخراط العلمي والتبادل الثقافي. تقول د. العويد: "لا بدَّ أنْ يقوم التواصل الحضاري إذا أريد له النجاح على أسس منهجية علمية وآليات فكرية"(١). ولا بدَّ من توافر الأسس المرجعية والأخلاقية والعلمية لإدارة التواصل الحضاري، فلا يمكن الاستغناء عن مبادئ العدالة والتعددية والحرية والتعاون والتسامح كمبادئ أساسية تبنى عليها مظاهر التواصل الحضاري والاتصال الثقافي.

(١) التواصل الحضاري من منظور إسلامي، نورة العويد، ط١، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض ١٤٤٣ هـ، ص١٦.

تباينت وتعددت أدوار التواصل الحضاري بين الثقافتين الإسلامية العربية والغربية، في عدد من الصور والمظاهر فمن ذلك:

- الفن الإسلامي الذي أرسى بجماله وروعته المعمارية أثرًا بالغًا ما زالت صوره واضحة إلى اليوم.
- وكذا اللغة العربية التي أشاعت النور والضياء برونقها وعذوبة ألفاظها.
- والرحلات العلمية بين مختلف القارات والبلاد الغربية كان له دور بارز في دعم أواصر الاتصال الإسلامي الغربي أكد ذلك الإدريسي بقوله: "ولنرجع الآن إلى ذكر الأندلس ووصف بلادها ونذكر طرقاتها وموضوع جهاتها ومقتضى حالاتها، ومبادئ أوديتها، ومواقعها من البحر ومشهور جبالها، وعجائب بقعها"(٢).
- التراث العلمي المتمثل في الآثار المنقولة عن المتقدمين سواء كتابة أو صورة إحدى الوسائل التي تثبت صحة وجود هذه الحضارة، ومدى مصداقيتها، وعظمة مخرجاتها الثقافية والفكرية والإبداعية بوجه عام.

وما وجود الآلاف من المخطوطات العربية والإسلامية في مكتبات ومراكز المخطوطات للدول الأوربية إلا دليل قاطع على أثر الثقافة العربية الإسلامية في بناء وازدهار الحضارات الأخرى.

وفي هذه الدراسة سنتخذ من مكتبة جامعة برمنغهام انموذجًا حيث تزخر بالمخطوطات العربية والإسلامية، وقد أعلنت مؤخر عن وجود قطعة من المصحف الشريف تعد هي الأقدم من نوعها، فقد قدر عمرها الزمني من ١٤٣٠ سنة.

من هنا جاءت الفكرة لدى الباحثة في دراسة ظاهرة انتقال المخطوطات من مواطنها الأصلية إلى المواطن الغربية وتأثير ذلك على التواصل الثقافي والديني بين الحضارتين.

يقدِّم هذا البحث دراسة وافية لعمق التواصل الحضاري بين ثقافتين مختلفتين في جوانب عدة، وذلك من خلال التراث العلمي الذي انتقل من موطنه إلى بلاد أجنبية متغايرة في اللغة والدين والعرق، كما إنَّ الإلمام بهذا المظهر من مظاهر التواصل يقودنا إلى فتح آفاق من مظاهر التواصل الأخرى خاصة في زمن أصبح الاتصال سهلًا، والاندماج مظهرًا من مظاهر التجديد.

أسباب اختيار الموضوع:

لقد قامت الباحثة من خلال اهتمامها بالمخطوطات الإسلامية العربية بمتابعة أهم المستجدات المتعلقة بهذا المجال، حيث تبيَّن لها وجود مخطوط يمثل أقدم قطعة من كتاب الله عزَّ وجلَّ مكتوب من ١٤٣٠سنة، والموجود في المكتبة المركزية في جامعة برمنغهام، حيث تتوفر فيها أقدم المخطوطات العربية والإسلامية.

من هنا رأت الباحثة ضرورة دراسة أثر انتقال المخطوطات في فاعلية التواصل الحضاري بين الثقافتين الشرقية والغربية.

(٢) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الشريف الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ص٥٦.

أسئلة البحث:

تتمثل أسئلة البحث في السؤال الرئيس:

ما أثر وجود المخطوطات العربية والإسلامية في التواصل الثقافي والديني بين الحضارتين العربية والغربية (جامعة برمنغهام) أنموذجاً؟

وتتفرع عنها الأسئلة التالية:

١- ما مدى صحة وجود مخطوطات ذات أصول عربية وإسلامية في جامعة برمنغهام؟

٢- ما الأهداف الرئيسة لجمع المخطوطات؟

٣- كيف يتم جمع المخطوطات عمومًا والإسلامية خصوصًا؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى التالي:

١- بيان أهمية التبادل الثقافي بين التواصل بين الحضارات

٢- البحث عن أهم المخطوطات الإسلامية والعربية الموجودة في جامعة برمنغهام.

٣- السعي إلى إظهار أهمية التراث العربي والإسلامي من خلال مراكز المخطوطات الغربية.

أهمية البحث:

١- إظهار جمالية الحضارة الإسلامية من خلال المخرجات الثقافية.

٢- توظيف المخطوطات العربية في دعم البحث العلمي وتبادل الخبرات.

٣- تفعيل التراث الحضاري في تحسين جودة التعايش بين المجتمعات العربية والغربية.

٤- بناء مراكز أبحاث مشتركة تهتم بخدمة التراث العربي والإسلامي.

٥- إثبات جهود العرب والمسلمين في شتى العلوم ومختلف المخرجات العلمية والأدبية والفنية.

حدود البحث:

الحدود الموضوعية: بيان دور المخطوطات العربية في التواصل الحضاري والثقافي بين الحضارتين العربية والغربية.

الحدود المكانية: جامعة برمنغهام/المكتبة المركزية.

مصطلحات البحث:

التواصل:

لغة: اتصل الشيء بالشيء لم ينقطع والتواصل ضد التصارم بمعنى التقاطع، ووصلت الشيء وصلًا وصلة، والوصل ضد الهجران(٣).

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ط ٣، ج٧، ص٤٤.

اصطلاحًا: مصطلح يعبِّر عن نوع من أنواع العلاقات البشرية والذي يستعمل لمشاركة الأفكار والمفاهيم بين طرفين أو أكثر، إذ يشترط لإتمام عملية التواصل وجود طرفين كحد أدنى، كما تشمل عملية التواصل مشاركة الأفكار والرموز والكلمات والصور وغيرها الكثير من الرسائل التي تدل على معنى معين(٤).

ويشير مفهوم التواصل بشكل عام إلى أشكال التكامل والتفاعل من منطلق الرفق والمودة والإحسان، بعيدًا عن التقاطع والتهاجر والتخاصم.

إن عملية التواصل تشمل التعاون الإيجابي في الجوانب السياسية والفكرية والتربوية والثقافية والاجتماعية وبالتالي فإن عملية التواصل يتم ضبطها من خلال الضوابط الموضوعية والفكرية المنبثقة عن ثقافتنا الإسلامية ومصادرها الأصيلة.

المخطوط:

لغة: هو مفعول من مادة (خ ط ط)، ومنه: خط الكتاب أي كتبه(٥).

اصطلاحًا: كل كتاب أو وثيقة لم تطبع بعد(٦).

الحضارة:

لغة: مأخوذٌ من الفعل حضر، فالحضارة هي عكس البداوة التي يعيش فيها النّاس حياةً قبليّةً، حيث ينتهجون من حياة التّنقل من منطقة إلى أخرى نمطاً للحياة، وهذا عكس الحياة المدنيّة أو الحضريّة التي يمارس النّاس فيها الزّراعة، وغيرها من النشاطات الحضرية، ويعيشون في المدن، فالحضارة هنا تعني الاستقرار(٧).

اصطلاحًا: مجموعة المظاهر العلميّة، والأدبيّة، والفنيّة، وكذلك الاجتماعيّة، الموجودة في المجتمع. وتعتمد الحضارات الإنسانيّة المختلفة على بعضها البعض، فكلّ حضارة جاءت متمّمةً للحضارة التي سبقتها، وتُسهم هذه الحضارات في البناء الحضاري الإنساني للعالم بأكمله(٨).

الثقافة:

لغة: (ثقف) الثَّاء، والقاف، والفاء كلمة واحدة إليها يرجع الفروع، وهو إقامة درء الشَّيء. ويُقال: ثقفت القناة إذا أقمت عوج، ورجل ثقف لقف، وذلك أنْ يصيب علمًا ما يسمعه على استواء(٩).

---

(٤) انظر: الخطاب اللغوي في وسائل التواصل الاجتماعي- من وجهة نظر تداولية، مجلة الدراسات اللغوية، المجلد ٢١، العدد ٤، شوال – ذو الحجة ١٤٤٠هـ- يونيو – اغسطس ٢٠١٩م، ص٣٣٨.

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر وآخرون، عامل الكتب، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ج١، ٦٦٥.

(٦) المرجع السابق، ١، ٦٦٥.

(٧) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار تحقيق التراث، ط٢، ج٤، ص٥٦.

(٨) الحضارة وأسسها في الإسلام، تاج الدين، ياسر.

(٩) معجم مقاييس اللُّغة، ابن فارس، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ج١، ص٣٨٢، بتصرُّف.

اصطلاحًا: رقي في الأفكار النَّظريَّة، وذلك يشمل الرُّقي في القانون، والسِّياسة، والإحاطة بقضايا التَّاريخ المهمَّة، والرُّقي كذلك في الأخلاق، أو السُّلوك، وأمثال ذلك من الاتِّجاهات النَّظريَّة(١٠).

منهجية البحث:

اعتمدت الباحثة في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يصف الظاهرة بصورتها الأساسية مع الاهتمام بوضع إطار تحليلي لها، ثمَّ العمل على جمع المعلومات حول هذه الظاهرة للتعرف عليها من خلال المعلومات والتعرف على أسباب حدوثها والتوصل إلى النتائج والتوصيات.

الدراسات السابقة:

- الدراسة الأولى: (خالد، ضو)٢٠٢٠: تَاريخ المخطوطات وتحقيق التراث ودوره في إِثْرَاءِ الدراسات والأبحاث.

ملخص الدراسة: يدرس البحث أهمية المخطوطات وتحقيقها، وتهدف الدراسة إلى بيان اهتمام الباحثين بالمخطوطات للتعريف بالحضارة العربية، ومراحل تطور المخطوطات ومدلولاتها.

نتائج الدراسة:

١- المخطوط هو كل كتاب قديم كتبه المؤلف بخط اليد؛ بيده أو بخط تلاميذه، ومن المخطوطات ما يكون نسخة أصلية ومنها الفرعية والمنقولة والمكتوبة عن النسخة الأصلية.

٢- هناك مصطلحات أخرى مرادفة لمصطلح المخطوط، وتدل عليه بعض استخداماتها، وهي: التراث، النصوص.

٣- تشكل المخطوطات حيزًا مهمًا من التراث الحضاري والثقافي للأمم عامة، والأمة العربية والإسلامية خاصة؛ لما يحويه من إرث معرفي وفير وكم نوعي غزير.

٤- العناية بالمخطوطات وتحقيقها له دوافع أهمها الإشادة بقيمة المخطوطات في التراث وتاريخ الحضارة العربية والإسلامية العريقة الراسخة.

- الدراسة الثانية: (زاهي نمر)٢٠١٨: المنهج النبوي في تعزيز قيم التعايش الإنساني.

ملخص الدراسة: يعد التطور البشري حصيلة عمل تراكمي مشترك بين مختلف الحضارات والثقافات أسهمت كلها في هذا البناء الإنساني. وأدى التقدم العلمي والتقني والرقمي إلى تقليص المسافات وتسهيل التواصل بين الأمم والشعوب، ولكل شعب خصوصيته، وسماته وقد تشكل بمجموعها التنوع الثقافي الإنساني. ومن المزايا الرئيسة للشريعة الإسلامية أنها في كل أحكامها ومبادئها وتوجيهاتها ذات صبغة إنسانية عالمية فهي رحمة وهداية للناس فليست شريعة لجنس خاص من البشر أو إقليم معين في الأرض.

(١٠) أضواء على الثَّقافة الإسلاميَّة، نادية شريف العمري، مؤسَّسة الرِّسالة، ط١، ٢٠٠٠م، ص٩.

إن المنهج النبوي بوصفه منهجًا تطبيقيًا عمليًا للوحي الإلهي، سبق وأنْ أرسى قواعد الحق والعدل والخير في مجتمع متناحر، لم يكن فيه اعتبار للقيم والمبادئ والأخلاق الفاضلة، يأكل القوي فيه الضعيف، ويستعبد الغني فيه الفقير وهو المنهج الوحيد المؤهل لبناء أسس التعايش الإنساني من جديد، بما يملكه من أدوات ووسائل وقيم ومبادئ إنسانية فاعلة.

نتائج الدراسة:

١- تضمن المنهج النبوي مختلف القيم الإنسانية التي تساهم في التعايش مع الآخر، والتعامل مع أهل الديانات الأخرى والحضارات المختلفة والثقافات المتنوعة، ومن أبرز تلك القيم: حرية الاعتقاد والأمن والعدل والرحمة والأمانة والوفاء والبر والإحسان.

٢- يقدم المنهج النبوي دليلًا على تحقيق المسلمين لمبادئ المواطنة والتعايش مع الغي، وعلى المسلمين أنْ يكونوا سباقين لترجمة هذا المنهج إلى سلوك عملي يهتدون به، باعتبارهم ورثة هذا المنهج وحملة رسالته، ويساهمون في بناء النظام العالمي بفاعلية، ومد جسور التعايش الإنساني، وإرساء قواعد العدل والرحمة بين الأمم، وبناء حضارة كانت رائدة للحضارات.

٣- عني المنهج النبوي باحترام الاختلاف الإنساني في الجنس والدين واللغة، والتنوع والتعدد الفكري والديني والثقافي للآخر، بعيدًا عن أي تطرف سواء كان في المعتقد أو السلوك أو المبادئ أو في الأحكام وتطبيقيها.

٤- حث المنهج النبوي على احترام الكرامة الإنسانية، ومنع الاعتداء عليها أو إلحاق الضرر والأذى بها بجميع صوره؛ سواء النفسية أو البدنية أو المادية.

- الدراسة الثالثة: (مشري، مرسي) ٢٠١٧: دور حركة الترجمة في التواصل الحضاري بين الشرق والغرب.

ملخص الدراسة: مثلت حركة الترجمة عبر الحقب التاريخية المختلفة جسراً للتواصل الحضاري بين مختلف الحضارات الإنسانية، فهي نشاط ثقافي إنساني لا غنى عنه لمختلف الشعوب والأمم، حيث يسمح بنقل الثروات العلمية والأدبية والفنية بين الحضارات من خلال ترجمة الكتب من الحضارات المختلفة كاليونانية والرومانية، ولا شك أنَّ حركة الترجمة تعرضت لعدة معيقات أبرزها: المعيقات المادية والسياسية. وتعد الترجمة وسيلة مهمة للتعريف بالإسلام واللغة العربية، كما أنها نافذة مهمة لخلق فرص الحوار والتفاهم بيم مختلف الأمم والحضارات.

نتائج الدراسة:

١- تنوعت طرق التبادل الثقافي بين الحضارات العربية واليونانية والرومانية.

٢- الترجمة أثرت محتوى العلوم المنطقية التي أسسها المسلمون في عصورهم الذهبية.

٣- اللغة العربية بمرونتها وكثرة مفرداتها كان لها كبير الأثر في سد الفجوات اللغوية والثقافية بينها وبين اللغات والثقافات الأخرى.

٤-الإسلام دين يدعو إلى فتح آفاق التفاهم والتعاون والحوار الدائم والذي يسعى إلى تحقيق الأهداف الإنسانية المشتركة.

- الدراسة الرابعة: (مولاتي، محمد) ٢٠١٥: دور مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي في حفظ المخطوطات.

ملخص الدراسة: لقد كثرت المؤسسات التي تعنى بالمخطوطات وحفظها ودراستها والتعريف بها، وتعد مؤسسة الفرقان واحدة منها، حيث تتأسى بجهود العرب والمسلمين الأوائل الذي دخلوا ميادين العلم والمعرفة الإنسانية من أوسع أبوابها، وهذا بدوره انعكس على دور الحضارة العربية في حفظ الكتب وبناء المكتبات التي كانت ولا زالت تعد مرجعا من مراجع التراث الإنساني، ومَعلمًا ثقافيًا وحضاريًا.

نتائج الدراسة:

١-تطورت المكتبات بمختلف أنواعها وأشكالها عبر التاريخ.

٢-كان للمسلمين الدور الأبرز في حفظ المخطوطات وتحقيقها وتوثيقها ودراستها.

٣-تنوعت وتكاثرت المراكز التي تعنى بحفظ المخطوطات على الصعيد العالمي في العصر الحديث أبرزها في روسيا وبريطانيا وألمانيا وفرنسا وإسبانيا.

٤-يحتاج تحقيق المخطوطات إلى كفايات مهمة أبرزها: الكفايات العلمية، والأدبية والفنية، كما تحتاج إلى مقومات مادية وسياسية وإدارية.

- الدراسة الخامسة: (العفراوي، إيمان) ٢٠١١: التعايش الحضاري وانعكاساته الاجتماعية والفكرية والثقافية دراسة في المفهوم والواقع.

ملخص الدراسة: إنَّ الله سبحانه وتعالى خلق جميع الأمم والشعوب مختلفة على وفق الطبيعة البشرية، وقد أقر هذا الاختلاف من واجب التعايش والتعارف دون إلغاء أي منهما للآخر. فالتعايش معًا والاعتراف بالآخر واحترام خصوصياته ينتج حالة من الحوار بين الثقافات والحضارات ويمهد لالتقائها بدلًا من تصادمها، شريطة أنْ يكون هناك اتفاق فيما بينهم على مجموعة من القيم والأخلاق الإنسانية المشتركة التي يمكن بمقتضاها التعايش معًا وإنْ وجدت الاختلافات، ومما لاشك فيه أنَّ التعايش يسهم في جعل الحياة المشتركة تقوم على قدر من التوازن الذي تستهدفه البشرية جمعاء، فالحياة المشتركة مستمرة بين الناس منذ أنْ نشأت المجتمعات البشرية حتى لحظاتنا المعاصرة.

نتائج الدراسة:

١-إنَّ هناك أسسًا خاصة تحمل الناس على أنْ يتعايشوا فيما بينهم. أهمها: فطرية الاجتماع، والخير وإلهاميته، والتنشئة الهادفة التي يتقبلها الأفراد تلقائيًا من خلال تنشئتهم الاجتماعية التي تحملهم على أن يتعايشوا معًا.

٢–التعارف العنصر الوحيد في تحقيق التعايش الذي طالبت السماء المجتمع البشري بالالتزام به تحقيقًا للتوازن، حتى في المجتمعات الأرضية المنعزلة عن السماء التي لا ترى في الإنسان إلا (نزعة أحادية) تضطره إلى أنْ يتعايش مع الآخرين: إما (قهرًا) أو بسبب (مصالحه المشتركة).

٣–النزعة الأحادية تؤدي إلى التفكك الأسري والاجتماعي في المجتمعات – التي تنكر خيرية الإنسان وتقوم على السيطرة والخضوع وترفض الانسجام والتعارف الحضاري معلنة التصادم والتحارب بين الثقافات.

٤–نواجه اليوم تحديات حضارية كثيرة أبرزها الصراع الحضاري.

– الدراسة السادسة: (الآلوسي، عبد الباسط، والمحمدي، عثمان)٢٠٠٩: من روائع الحضارة العربية الإسلامية مكتبة بيت الحكمة أنموذجًا دراسة تاريخية.

ملخص الدراسة: تسعى هذه الدراسة إلى كشف الدور الحضاري الذي لعبته مكتبة بيت الحكمة في التاريخ الاسلامي، والتي أسهمت في بلورة النتاج الفكري في خدمة كبار الأدباء والعلماء والمفكرين، وذلك بتزويدهم بمصادر المعلومات المتنوعة وتقديم خدمات المعلومات إليهم وحتى أدق أنواع الخدمات كتذكيرهم بمواعيد الصلاة وغيرها. وتلقي الدراسة الضوء على التطور الكبير الذي بلغته الحضارة العربية الإسلامية آنذاك ولو استمرت لحد الان لكان حال مكتباتنا غير ما نراه الآن.

نتائج الدراسة:

١–وجود إدارة منظمة ونقصد بها الأشخاص القائمون على إدارتها ونظام تصنيف لكتبها وطريقة جمعها وفهرستها وتسلسلها.

٢–وجود نظام إعارة بشقيه الداخلي والخارجي كما هو معمول به الآن.

٣–وجود كم هائل من الكتب تقدر بمليوني كتاب في مختلف الموضوعات منها الغريب والنادر في مختلف العلوم.

٤–تحوي المكتبة على قسم التجليد والنسخ إذ يعملون على نسخ الكتب المؤلفة والمترجمة وما يتبعه من تصوير وتزويق وتذهيب.

– الدراسة السابعة: (عتروز، بديس) ٢٠٠٢: حفظ ومعالجة المخطوطات في المؤسسات غير الرسمية في الجزائر خزانة الزاوية الحسينية في ولاية ميلة أنموذجًا.

– ملخص البحث: إنَّ الحفاظ على المخطوطات من الضياع هو محل اهتمام لدى أهل العلم والأدب والثقافة، ولا شك أنَّ المخطوطات العربية والإسلامية ذات ثروة هائلة، لكنها مبعثرة في مختلف المراكز والمكتبات الرسمية وغير الرسمية؛ لذا جاءت هذه الدراسة لتضع الإطار المنهجي لحفظ التراث في المراكز الغير رسمية كالزوايا وغيرها.

نتائج الدراسة:

١–الزوايا التي تقوم على حفظ التراث بطرق غير منهجية تؤدي بالنهاية إلى ضياعها وبالتالي فقدان الانتفاع بها.

٢–لا بدَّ من وجود سياسة تعنى بحفظ التراث بطريقة علمية رصينة وبأيدي باحثين متمكنين.

خلاصة الدراسات السابقة:

لقد توصلت الباحثة من خلال الدراسات السابقة إلى ضرورة وجود مراكز مؤهلة للحفاظ على المخطوطات، والسعي وراء هذا الهدف بخطوات ثابتة، وبالتالي نستطيع الترويج إلى التراث الثقافي العربي والإسلامي بكل ثقة وأمل، كما أكدت الدراسات السابقة أهمية الحفاظ على المخطوطات في زيادة مستوى التعايش بين مختلف الأجناس والأعراق، كما استفادت الباحثة من خلال الاطلاع على جهود مراكز المخطوطات في الوطن العربي وغيره من بقاع الأرض، مما يسهم في تطوير برامج تحقيق المخطوطات مستقبلًا.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها بيان أهمية التعايش كضرورة بشرية، وانعكاس أثره على الواقع الإنساني والحضاري.

الفصل الأول: أساسيات البحث: وتشمل:

- أسباب اختيار الموضوع.
- أسئلة البحث.
- أهداف البحث.
- حدود البحث.
- مصطلحات البحث.
- الدراسات السابقة.

الفصل الثاني: البعد الثقافي في الحضارة الإسلامية، وأثرها في الحضارات الأخرى، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الثقافة مفهومها، وأبعادها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الثقافة.

المطلب الثاني: أبعاد الثقافة.

المبحث الثاني: الثقافة الإسلامية وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مصادر الثقافة الإسلامية.

المطلب الثاني: وظيفة الثقافة الإسلامية في بناء الهوية.

المطلب الثالث: احترام الثقافة الإسلامية للاختلاف واستثماره في التواصل.

الفصل الثالث: المخطوطات وأثرها في التواصل بين **الثقافات وفيه مبحثان:**

المبحث الأول: علاقة المخطوطات بالتواصل الثقافي بين الحضارات، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المخطوطات مفهومها وأغراضها.

المطلب الثاني: مراكز جمع المخطوطات، وطرائق تصنيفها.

المطلب الثالث: مجالات دعم مراكز المخطوطات للتواصل بين الحضارات.

المبحث الثاني: المخطوطات العربية والإسلامية في جامعة برمنغهام (أنموذجًا)، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مركز جمع المخطوطات في جامعة برمنغهام النشأة والتاريخ.

المطلب الثاني: دور المخطوطات العربية في جامعة برمنغهام في تعزيز التواصل الثقافي والديني بين الحضارتين الغربية والعربية الإسلامية.

الخاتمة: وتشمل النتائج والتوصيات.

المراجع والمصادر.

الفصل الثاني: البعد الثقافي في الحضارة الإسلامية، وأثرها في الحضارات الأخرى، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الثقافة مفهومها، وأبعادها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الثقافة:

وفقًا لشكري فيصل فإن مفهوم الثقافة يعبِّر عن مجموعة من القيم الأخلاقية والدينية والفنية والأنظمة التفاعلية الاجتماعية وحصيلة المعارف العلمية والأعراف والتقاليد والعادات التي كونتها حياة الشعوب.

ووفقًا لشاكر مصطفى فإن الثقافة تعني وحدة الآمة بحيث تشمل الخصائص الروحية والفنية والفكرية والأخلاقية والنتاج المعرفي والسلوكيات المتنوعة التي تهدف لجعل الحياة الإنسانية سامية ونبيلة وعميقة.

أما الثقافة عند تايلر فتعد مكتسبة من المجتمع وتفسر طريقة اكتسابها بأن الفرد عنصر فعال في مجتمعه يكتسب العقائد والأخلاق والأفكار والقوانين المختلفة.

أما المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فتربط مفهوم الثقافة بالإنسان وبما ينتجه من فكر وتصورات وتقليد أو صناعة من منطلق كونه عنصرًا فاعلًا، بالإضافة إلى أساليب القيم التي يبتكرها الإنسان ليحصل على إنسانيته ويستخدمها ليرتب حياته من الناحية الجمالية والروحية والفكرية.

أما عبد العزيز الجلال فعرَّف الثقافة على أنها ارتباط الفرد بمحيطه، وما يترتب على هذا الارتباط من إبداع فكري ومادي وجمالي وتفاعل تام لتكوين سلسلة مميزة تخص مجتمع عن الآخر، وتحكم طريقة سلوكهم البشري وطبيعة عيشهم.

المطلب الثاني: أبعاد الثقافة

للثقافة ثلاثة أبعاد:

البعد الأول: يدعى بالبعد الخاص والذي يرتكز على نسيج وحدة الأمة وبلورة شخصيتها وشد أواصر أفرادها.

والبعد الثاني: هو البعد القومي الذي تستخدمه الثقافة لتمايز مجموعات سكانية عن غيرها من ناحية القيم والعادات والتقاليد والتراث المشترك وبالتالي تكوين هوية الأمة.

وأما البعد الثالث: فهو البعد الإنساني الذي يقوم على دمج ثقافة شعب بثقافة الشعوب الأخرى للحصول على كل آدابها وفنونها وقيمها ومثلها لغاية خدمة البشر(١١).

نستنتج من ذلك أنَّ لكل وطن ثقافة معينة تحدد هويته.

المبحث الثاني: الثقافة الإسلامية وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مصادر الثقافة الإسلامية:

إنَّ أي وطن يقوم على التاريخ والتراث الذي يشكل ثقافته في نهاية المطاف، فلكل مجتمع مبادئ وعقيدة راسخة، ولكل أمة قيم ونظم تحكمها.

وتسهم الأديان بشكل كبير في تكوين الصورة النمطية الثقافية للمجتمعات ويمكن تفسير ذلك بأن التدين فطرة يولد عليها الإنسان بغض النظر عن صحتها، حيث يستمد الإنسان من الإيمان مفاهيمه الوجودية وطريقة حياته وعقيدته وعلاقاته والقوانين والأنظمة التي تحكم أمور حياته.

وتقوم الثقافة الإسلامية على التربية التي تنبثق من الدين في المقام الأول، فمصادر الثقافة الإسلامية الصحيحة تشكل فهم أصيل للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وتحليل التاريخ الإسلامي ومواجهة المشكلات المعاصرة التي تحتاج إلى حلول جذرية وذلك من خلال الاعتماد على شريعة الله بشكل كامل وبلا تأويل أو التفات للتيارات المخالفة، وتعتمد الثقافة الإسلامية بالمقام الأول على القرآن الكريم المنزل على سيدنا محمد (صل الله عليه وسلم) والذي تكفل الله بحفظه والقائم على الصدق لا على الهوى، بالإضافة إلى السنة النبوية بخلاف الثقافات المرتبطة بالأديان المحرفة من قبل البشر والتي تغيرت حقيقتها بمرور الزمان(١٢).

المطلب الثاني: وظيفة الثقافة الإسلامية في بناء الهوية:

إنَّ الثقافة الإسلامية لها دور في تشكيل الهوية الوطنية التي تنخرط ضمن مبادئ الإسلام وتتضح في المحاور الآتية:

١- التركيز على خصائص الأمة الإسلامية وحمايتها من الضياع داخل الوطن الإسلامي الذي يسمح للأمم بممارسة عقائدهم بحرية ضمن المبادئ الإسلامية.

٢- الحفاظ على شعوب الوطن الإسلامي وتوحيدهم بصورة تضامنية موحدة ضمن ثقافة إسلامية مشتركة.

---

(١١) انظر: ثقافة الحركات الاجتماعية الجديدة: مقاربات أنثروبولوجية، سيد فارس، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠٢٣م، ص٨٨.

(١٢) انظر: محاضرات في الثقافة الإسلامية، أحمد محمد جمال، مؤسسة دار الشعب، ١٩٧٥م، ص١٧.

٣-الاهتمام بموضوع الأمان النفسي للأفراد داخل المجتمع الإسلامي، وذلك لأن الثقافة الإسلامية لها ارتباط قوي ومباشر بالكرامة الإنسانية والذات البشرية، ويتجلى ذلك من خلال تأكيد الثقافة الإسلامية على إكساب الفرد الشعور بالتعاون والانتماء لجماعته وأنْ يشعر بأن الوطن الإسلامي جزء لا يتجزأ منه.

٤-تقوية طبيعة الانتماء إلى الدين الإسلامي ودمجها مع التاريخ العريق للإسلام وتوثيق العلاقات الفكرية والعقائدية بغض النظر عن اختلاف لغات وأعراق المسلمين(١٣).

المطلب الثالث: احترام الثقافة الإسلامية للاختلاف واستثماره في التواصل:

إنَّ الثقافة الإسلامية تمثل هوية الأمة الإسلامية وتعمل على حمايتها من الضياع، وتنظر إلى الثقافات الأخرى بوعي وبصورة واقعية لإن اختلاف الثقافات ناشئ من الاختلاف بطبيعة الشعوب وطريقة عيشها، كما قال الله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} [هود: ١١٨-١١٩]، فقضية الاختلاف تعد قضية سنية من سنن الله عزَّ وجلَّ ولذلك فإن قضية الاختلاف حقيقة واقعية يجب مراعاتها في كل زمان ومكان مما يسهل عملية التعامل مع الثقافات الأخرى.

إن مكاتبة الرسول (صلى الله عليه وسلم) لقادة وملوك عصره تدل دلالة كاملة على أنَّ الثقافة الإسلامية واعية بصورة كافية لموضوع الثقافات الأخرى واختلافها وبالتالي فإن الشريعة الإسلامية تهدف إلى تحقيق المثل العليا وتراعي القيم بشتى المجالات والجوانب، ومن الأمثلة الدينية التي تدل على احترام الثقافة الإسلامية للثقافات الأخرى هو ما قام به الرسول (عليه الصلاة والسلام) بعد هجرته من مكة إلى المدينة المنورة وتأسيس الدولة الإسلامية هناك فقد سمح لليهود المقيمين بممارسة شعائرهم الدينية من خلال معاهدة تمَّ عقدها معهم وتنص على أنَّ: (لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم)(١٤) ومن الأمثلة الدينية الأخرى على إقرار الثقافة الإسلامية بالثقافات الأخرى واحترامها والاعتراف بها العهد الذي أعطاه عمر بن الخطاب_ رضي الله عنه _ لأهل إيلاء بممارسة عقائدهم بحرية تامة وهذا إنْ دلَّ فإن يدل على احترام الإسلام للمعتقدات الأخرى وللاختلاف الثقافي بشكل عام، حيث أنَّ المسلمين يحاولون دومًا محاورة أصحاب الأديان الأخرى بالحسنى ودون إكراه أو تعدي على حقوقهم

(١٣) انظر: الحضارة الإسلامية ثقافة وفن وعمران، عبد السلام كمال، بروج الكتب، ٢٠١٧م، ص٢٨٨.

(١٤) انظر: السيرة النبوية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ١٣٩٥هـ-١٩٧٦م، ج٤، ص١٠٦.

وحريات عقائدهم، حيث لا تجبر الثقافة الإسلامية الشعوب الأخرى على الخروج عن ثقافاتها وإنما تحاورهم بشكل منهجي ضمن الأدلة القاطعة والبراهين وضمن حدود معتقداتهم وعلى أساس وحجج وبراهين ثابتة سواء من القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة(١٥).

إنَّ أبرز ما يميّز الثقافة الإسلامية عن غيرها من الثقافات الأخرى هو وحدة عقيدتها الراسخة التي توضح النظم والأسس التي جاءت بها، فهناك الوحدة في الأهداف، والوحدة في التشريع، والوحدة في الرسالة، والوحدة في طريقة العيش، والوحدة في الحياة البشرية ككل، ووحدة التفكير، ومثال واقعي على ذلك أنَّ علماء الفنون الإسلامية لاحظوا وحدة الذوق والأسلوب بأشكال مختلفة مثل النسيج المصري والخزف الشامي والعاج الأندلسي وبالتالي رغم اختلافها إلا أنها ذات منشأ وطابع واحد، وذلك بسبب أنَّ الثقافة الإسلامية مميزة بالهدف والطبيعة، وعالمية على مستوى الرسالة المقدمة، وواسعة الأفق مستمدة من القرآن الكريم القائم على احترام الإنسان رغم التنوع، والدليل على ذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: ١٣]، فالوحدة الإنسانية قائمة على الاحترام والألفة والتعاون وبالتالي تقوم الحضارة الإسلامية على أبطالها الذين ساهموا بشكل كبير في الفتوحات وتوحيد الشعوب تحت راية الإسلام.

إنَّ الثقافة الإسلامية تستند على مبدأ احترام الثقافات الأخرى وتقبُلها والتفاهم معها، ومع ذلك هذا لا يعني أنَّ تتقبل الثقافة الإسلامية فكرة الاندماج مع الثقافات التي تسعى لهدم الثقافة الإسلامية أو التي لا تستند على مبادئ إنسانية أو أخلاقية، أما على مستوى التطور الحضاري والتقني والعلمي الذي تقدمه الحضارات الأخرى والذي يخدم العالم فإن الثقافة الإسلامية تشجعه وتدعمه بشرط أنْ يستند على السلام والتعاون بعيدًا عن التطرف والتزمت والعدوان والاحتكار وتوظيف تقنيات التكنولوجيا من أجل السيطرة والهيمنة وتدمير الشعوب.

إنَّ تعددية الثقافات لا تتنافى مع محافظة كل شعب على ثقافته، وأنَّ أحادية الثقافة لا تعني عدم تقبل التعايش الثقافي الذي يسهم في إلغاء الهوية الثقافية وبالتالي تكمن أحادية الثقافة السلبية في محاولة طمس هوية الثقافات الأخرى وعدم الاعتراف بها.

كما يظهر في خطابات وطبيعة الثقافة الإسلامية بعدها الكامل عن التطرف، والعنف، والغلو، والتغيير في الأسلوب، والمواثيق وذلك منبثقًا عن وصايا النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) لمعاذ، وأبي موسى – رضي الله عنهما – عندما بعثهم الرسول إلى أهل اليمن وكانوا من أهل الكتاب (يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا

(١٥) انظر: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ، ج٣، ص٦٠٩.

تنفرا)[١٦]، ولهذا فإن الثقافة الإسلامية حريصة على احترام مشاعر الآخرين، وتأليف القلوب، وتجنب الخلافات مع الثقافات الأخرى حيث تحافظ الثقافات الإسلامية على نهج واضح وعادل عند تعاملها مع الغير بحيث تتبع منهج الإنصاف والوسطية في جميع الأمور.

ومعلوم أنَّ صراع الحضارات قائم منذ الأزل، حيث كانت العلاقات بين الحضارات والشعوب يتخللها تغيرات سياسية قوية غيرت الكثير من المفاهيم السائدة، لكن في هذه الأيام مع تطور التكنولوجيا وبروز عصر العولمة ونشوب كثير من ثورات الاتصالات والمعلومات ظهر مفهوم جديد يدعى بحوار الحضارة القائم على تقبل الثقافات الأخرى ضمن التغيرات الفكرية والسياسية، وبناء على ذلك بدأ تطبيق هذا النهج بداية من المنظمات التعليمية حيث تلعب الجامعات والمدارس دورًا رئيسيًا بارزًا في ذلك، تليها المؤسسات الإعلامية التي توصل الفكرة مسموعة ومرئية للمجتمع كافة وإضافة لذلك لا بدَّ من الإشارة إلى موضوع شائك وهام في نفس الوقت وهو قضية العلاقة القائمة بين الشخص والآخر بصفتها قضية أساسية في مفهوم التعدد الثقافي، والتنوع اللغوي، فهذه القضية قائمة على تقبل الآخر والتفاعل معه بشكل إيجابي مع الحفاظ على الخصوصية، والهوية المميزة.

لا يمكن تجاوز دور العلماء المسلمين في عملية التأثير على رؤساء المؤسسات التعليمية في بلاد العرب والمسلمين بضرورة الاهتمام باللغة العربية وتدريسها وتدريس التراث القديم العربي العريق للتعريف بالعلماء القدماء من العرب والذين ساهموا بشكل واضح في نهضة أوروبا في القرن الخامس عشر حيث استمدت أوروبا جميع علومها من العلماء العرب المسلمين.

وتعد التعددية الثقافية بمثابة مرجع للأجيال، فهي توضح طبقة الحضارات التي مرت على هذا العالم، وبالتالي يمكن الاستنتاج أنَّ عملية توحيد الثقافات ضمن شعار ونهج واحد تعد مستحيلة، فلا يمكن تجمع الكون على لغة واحدة، أو معتقد واحد، لأن الله جعل الاختلاف والتنوع سنة من سنن الكون بحيث لا يمكن لأي سلطة في الكون التخلص من الخصوصيات الثقافية لكل أمة.

إنَّ عملية التواصل الثقافي تعد عملية ضرورية بحيث تتصل ثقافة أمة بثقافة أمة أخرى عن طريق الأدب، والفن، والفكر بحيث أنَّ التواصل الثقافي يشتمل جوانب متعددة ولا يقتصر على جانب دون غيره؛ والدليل على ذلك أنَّ الثقافة العربية منذ الأزل وبالتحديد منذ الجاهلية كانت تسعى إلى عدم الانغلاق على الثقافات الأخرى من خلال الأخذ منها دون تحيز أو تعصب، وبالمقابل تقديم الكثير لهذه الثقافات بشكل سخي ودون تحايل أو تحيز فالانغلاق الثقافي مفهوم خطير؛ فهو يسهم في التخلف الثقافي والإنساني وحرمان ثقافة من خيرات ثقافة أخرى.

---

(١٦) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، ج٤، ص٦٥، برقم: (٣٠٣٨)، صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (٣/ ١٣٥٩)، برقم: (١٧٣٣).

الفصل الثالث: المخطوطات وأثرها في التواصل بين الثقافات وفيه مبحثان:

المبحث الأول: علاقة المخطوطات بالتواصل الثقافي بين الحضارات، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المخطوطات مفهومها وأغراضها.

تعد المخطوطات وثائق ثمينة تحمل قيمة علمية وفنية وسياسية واجتماعية واقتصادية وتتصل موضوعاتها بتراث هذه الأمة وتتعلق بنهضتها وحضارتها بشكل كبير.

سبق الحديث عن تعريف المخطوط، وهنا أتحدث عن: أنواع فهارس المخطوطات العربية.

ويجدر بنا أولًا أنْ نشير إلى أنه بعض ما ألف في فن فهرسة المخطوطات على سبيل التمثيل لا الحصر، فكثير من الباحثين والمحققين العرب منهم والمستشرقين ألف في هذا الفن.

ونحن نريد بهذا العنصر التنويه على تلك الجهود المبذولة في فهرسة المخطوط العربي وحسب مناهج تختلف من كتاب لآخر.

وهي على أنواع:

١-فهارس المخطوطات في مكتبة معينة:

وهذا النوع من أنواع فهرسة المخطوطات العربية هو الشائع الغالب، لسهولة إنجازه، ويسر مأخذه، فما على المفهرس الذي قد يكون عمله في المكتبة فهرسة المخطوطات إلا اختيار البيانات التي يطلبها من كل مخطوطة، وتقسيم المخطوطات باعتبار العلم الذي تندرج فيه مثل: فهارس المخطوطات العربية في مكتبة تشستر بيتي (دبلن-إيرلندا) ل آرثر ج آربري، ترجمة: محمود شاكر، مراجعة: إحسان صدقي، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمان ١٩٩٢م، مجلدان.

٢-فهرس المخطوطات العربية في بلد معين:

هذا النوع من فهرسة المخطوطات العربية يتناول بالفهرسة جميع المخطوطات داخل بلد ما، وهذا يعني أنَّ المفهرس تتبَّع جميع المخطوطات في كل مكتبات ذلك البلد وكل مراكزها وخزائنها العامة والخاصة ما تيسر له ذلك، مثل: المخطوطات في المملكة العربية السعودية، يحيى محمود الساعاتي، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، ١٩٩٣م.

٣-فهارس المخطوطات العربية في مركز معين

مثل: فهرس المخطوطات في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض السعودية.

٤-فهارس المخطوطات العربية في علم معين:

مثل فهرس مخطوطات علم الحديث مصطلحه من خلال التراث الجزائري للعلماء الجزائريين، إعداد وتقديم: عبد الحفيظ قطاش، جزء واحد.

٥-فهارس المخطوطات العربية، للمؤلف معين:

مثل الإثبات في مخطوطات الائمة: شيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة ابن القيم، والحافظ ابن رجب، علي عبد العزيز الشبل، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض، السعودية.

أغراض المخطوطات:

كان الاهتمام الأول في المخطوطات يعنى بالبحث عن النص تمهيدا لنشره، وعليه أرجعوا قيمة المخطوط إلى أهمية النص الذي يحمله، بعدها تطور الأمر إلى علم الخطوط القديمة في القرن التاسع عشر دون أنْ يتطور علم دراسة المخطوطات في حد ذاته، يليه بعد ذلك ميلاد علم المخطوطات في منتصف القرن العشرين الذي كان يعني في أول الأمر دراسة مجموعات المخطوطات والمكتبات، بعدها أصبح يعني دراسة الشكل المادي للكتاب المخطوط باعتباره أثرًا، أي دراسة العناصر المكونة للمخطوط بصرف النظر عن نص الكتاب وموضوعه: حوامل الكتابة (البردي، الرق، الكاغد) والمواد المستخدمة في الكتابة (الأقلام، والأمدة، والألوان، والأصباغ) وشكل الكراسات وأحجامها وترتيبها، وشكل الصفحة وإخراجها وتسطيرها، وتزويق المخطوط وتذهيبه، والتجليد والتسفير، وامتد إلى حدود المتن المشتملة له على اسم الناسخ ومكان النسخ وتاريخه والإشارة إلى النسخة المنقول منها والتملكات وعلامات الوقف وما سجل على المخطوط من مطالعة وفوائد وسماعات وقراءات وإجازات، والتعرف على مصدر المخطوط ورحلته والمكان الذي استقر فيه أخيرًا.

المطلب الثاني: مراكز جمع المخطوطات، وطرائق تصنيفها:

لم يترك العرب بابًا من أبواب المعرفة الإنسانية إلا وطرقوه، ولا علمًا من العلوم إلا وكان لهم فيه قدم السبق وعلو الشأن وذلك بسبب النهوض المستمر الذي شهدته الأمة منذ أقدم العصور.

ولم يترك العلماء والدارسون المسلمون ميدانًا من ميادين العلوم إلا وكان لهم فيه جولات واستطلاعات.

لقد أعطت الحضارة العربية الإسلامية عبر عصورها المختلفة اهتمامًا خاصًا في الكتب والمكتبات، ولهذا انتشرت خزائن الكتب ودورها في الكثير من المدن الإسلامية، وتعد المخطوطات العربية أقدم تراث إنساني ما زال باقيًا حتى هذا العصر، وقد فاقت في أعدادها وتنوع موضوعاتها أي تراث فكري علمي آخر، إلا أنَّ العديد من هذا التراث العربي المكتوب قد ضاع بسبب الحرائق والحروب التي جرت على الدول العربية الإسلامية ولا زالت العديد من المخطوطات لا نعرف عنها شيئًا محفوظة لدى الأفراد والمكتبات الخاصة ومراكز المخطوطات في العالم.

مراكز المخطوطات العربية في بريطانيا:

تحتوي المكتبات البريطانية على الكثير من المخطوطات الإسلامية ومنها المخطوطات العربية إذ تقدر بحوالي ٢٠,٠٠٠ مخطوطة ومن أبرز هذه المكتبات: المكتبة الوطنية البريطانية حيث تضم اكثر من ٦٠٠٠

مخطوطة وقد أعُدت لها مجموعة من الفهارس، منها: الفهرس الذي أعده كيرتون Cureton والمطبوع في ثلاثة مجلدات يصف فيها ١٦٥٣ مخطوطة عربية.

وإلى جانب هذه المكتبة توجد مخطوطات في مكتبات دائرة الهند في لندن ومانشستر.

ومكتبة جامعة كامبردج والتي صدر لها فهرس في كتاب بعنوان: المخطوطات العربية في المكتبة البريطانية ومكتبة كامبردج لـ ٢٢٤ مخطوط.

ومكتبة جامعة برمنغهام حيث تضم مكتبة كادبوري للأبحاث، وسيأتي الحديث عنها في المبحث الثاني.

إنَّ الناظر في تاريخ حضـــارات الشـــعوب والأمم وما خلفته من نتاج فكري وعلمي يجد أنَّ الأمة الإســلامية تأتي في طليعة الأمم التي اهتمت بتدوين العلوم والخط فيها فليس يوجد اليوم بين يدي البشـرية تراث أزخر ولا أكثر زخمًا من التراث العربي.

ولا ريب أنَّ المخطوط بمفهومه الاصـــطلاحي قد ولد بعد ظهور الطباعة للتمييز بين هذا وذاك وإلا فقد كانت المخطوطات إبان عصر مؤلفيها تسمى كتبًا إذا لم تكن هناك وسيلة للنسخ آنذاك إلا الكتابة بخط اليد وقد كانت مهنتها تسمى الوراقة، والوراق هو الناسخ المشتغل بنسخ الكتب وبيعها، وقد كان منهم الحاذق الماهر ومن هو دون ذلك لمن يكثر في نسخه التصحيف والتحريف.

وقد ظهرت في العصـــر الحديث مراكز متخصـــصـــة في حفظ المخطوطات وترميمها، إذ إنَّ حفظ المخطوطات بحاجة إلى ظروف خاصة وترميمها بحاجة إلى مهارات.

المطلب الثالث: مجالات دعم مراكز المخطوطات للتواصل بين الحضارات.

تعد مراكز المخطوطات من المؤسسـات الثقافية الرئيسـية التي تلعب دورًا حيويًا في الحفاظ على التراث الثقافي، وتعزيز التواصـــل الثقافي بين الحضـــارات المختلفة، وتمتلك هذه المراكز مجموعات هائلة من المخطوطات والكتب القديمة التي تمثل كنزًا للمعرفة والفهم.

أولًا: تسهم مراكز المخطوطات في الحفاظ على الهويات الثقافية للشعوب، حيث تحتضن تلك المخطوطات والكتب القديمة تاريخًا طويلًا من الفنون والعلوم والأدب. وتعد هذه الوثائق مصـدرًا غنيًا للباحثين والعلماء لفهم تطور الحضارات على مر العصور، مما يساهم في تعزيز التواصل بين مختلف المجتمعات.

ثانيًا: تعد مراكز المخطوطات جسرًا ثقافيًا بين الحاضر والماضي، حيث يمكن للباحثين والطلاب الوصول إلى مصادر أصلية تعود إلى فترات تاريخية مختلفة. يتيح ذلك فهم السياق الثقافي والاجتماعي للحضارات السابقة، وبالتالي يساعد في تكوين رؤية أوسع للتاريخ البشري وتعميق الفهم المتبادل بين الثقافات.

ثالثًا: تسهم هذه المراكز في تعزيز التواصل الأكاديمي والعلمي بين المؤسسات والباحثين على مستوى العالم، حيث يمكن للعلماء والباحثين الوصول إلى مصادر قيِّمة ونادرة تعزز الأبحاث وتسهم في إثراء المعرفة وهذا التبادل الثقافي يقود إلى تعزيز التعاون الدولي في ميدان العلوم والثقافة.

إضافة إلى دور مراكز المخطوطات في تعزيز التواصل الثقافي بين الحضارات، فهي تلعب أيضًا دورًا بارزًا في تعزيز التفاهم الديني والثقافي بين الشعوب، خاصة المخطوطات الدينية القديمة التي تحتفظ بها تشكل جزءا هامًا من هذا الدور، حيث توفر رؤية فريدة حول المعتقدات والتقاليد الدينية للحضارات القديمة.

وتقوم مراكز المخطوطات بجمع وحفظ النصوص الدينية والتفسيرات القديمة، مما يساعد في فهم عميق للقيم والمعتقدات التي شكلت النسيج الاجتماعي والروحي لتلك الحضارات. هذا الجانب يسهم في بناء جسور التواصل الثقافي والديني بين المجتمعات المختلفة، حيث يمكن للأفراد أنْ يستفيدوا من هذه المصادر لتوسيع فهمهم للتراث الديني والثقافي لغيرهم.

وتساهم المراكز أيضًا في تحقيق التواصل الحضاري والديني من خلال تنظيم فعاليات ثقافية وندوات تعنى بمواضيع دينية وثقافية مشتركة. يمكن لهذه الفعاليات أنْ تلعب دورًا فعّالًا في تعزيز الحوار والتفاهم بين الأديان والثقافات المختلفة، وتسليط الضوء على القيم المشتركة والتشابهات بينها.

من خلال دعم التواصل الثقافي والديني، تسهم مراكز المخطوطات في تخفيف التوترات الثقافية وتعزيز روح التعايش السلمي بين الحضارات المختلفة. يُظهر هذا الدور الحيوي كيف يمكن للمخطوطات القديمة أنْ تكون جسرًا للفهم والتقارب بين الأمم، وتعزز التسامح والاحترام المتبادل بين مختلف الثقافات والأديان.

المبحث الثاني: المخطوطات العربية والإسلامية في جامعة برمنغهام (أنموذجا)، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مركز جمع المخطوطات في جامعة برمنغهام النشأة والتاريخ[١٧].

خصصت جامعة برمنجهام مركزًا لجمع المخطوطات وأطلقت عليه اسم (مكتبة كادبوري للبحوث)، كادبوري حفيد مؤسس شركة شوكولاتة كادبوري وأحد المنتمين لجماعة (كويكرز البروتستانتية) مهتم بالعمل الخيري، واكتسب كادبوري هذه المخطوطات لرفع مكانة جامعة برمنجهام كمركز للدراسات الدينية واللاهوتية، وفي عام ١٩٣٦م أسس كادبوري كرسي اللاهوت في جامعة برمنجهام والذي لا يزال موجودًا حتى يومنا هذا.

تمَّ إنشاء مجموعة منجانا الغنية بشكل فريد من مخطوطات الشرق الأوسط خلال العشرينيات من القرن الماضي على يد ألفونس منجانا (١٨٧٨-١٩٣٧).

ولد هرمز منجانا عام ١٨٧٨ في شرانش، وهي قرية قريبة من زاخو في الإمبراطورية العثمانية (العراق حاليًا) كان عالم لاهوت آشوري ومؤرخًا ومستشرقًا وكاهنًا سابقًا. مثل غالبية الآشوريين في زاخو، تنتمي عائلته إلى الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية. ولد ألفونس لباولوس مينجانا ومريم نانو، وكان له سبعة أشقاء. غير اسمه بعد أنْ أصبح كاهنًا كلدانيًا.

(١٧) انظر: موقع جامعة برمنغهام: https://www.birmingham.ac.uk/facilities/cadbury/birmingham-quran-mingana-collection/mingana-collection/spreading-the-word.aspx

في عام ١٩١٣، جاء مينجانا إلى إنجلترا بدعوة من جيه ريندل هاريس، مدير الدراسات في(وود بوك) وخلال الفترة التي بقي فيها إدوارد كادبوري رئيسًا للمجلس المركزي لكليات سيلي أوك بقي مينجانا في (وود بوك) لمدة عامين، وفي نفس العام تم تعيين مينجانا ضمن طاقم عمل مكتبة جون ريلاندز في مانشستر لفهرسة مجموعة المخطوطات العربية بالمكتبة.

عاش في مانشستر حتى عام ١٩٣٢م، وبحلول الوقت الذي غادر فيه مينجانا جون ريلاندز، كان قد ارتقى إلى منصب حارس المخطوطات الشرقية.

أثناء وجود منجانا في مانشستر، رعاه إدوارد كادبوري للقيام بثلاث رحلات إلى الشرق الأوسط لجمع المخطوطات في ربيع عام ١٩٢٤م، حصل منجانا في لبنان وسوريا والعراق على ٢٢ مخطوطة عربية، وبعض المخطوطات السريانية لمكتبة ريلاندز، كما حصل أيضًا على بعض المخطوطات السريانية الأخرى لشركة كادبوري، كما أسفرت زيارة خريف ١٩٢٥م إلى سوريا والعراق وجنوب كردستان عن مخطوطات سريانية.

إنَّ دور الدكتور إدوارد كادبوري في المجموعة غير معروف جيدًا، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى أنه على عكس العديد من المتبرعين قام بوقف المجموعة سرًا دون أنْ يذكر اسمه، ومن المؤكد أنَّ مشاركة كادبوري كانت بمثابة فاعل خير وليس هواة جمع ومتذوقي الكتب.

لم يكن مهتمًا بالمخطوطات نظرًا لصفاتها الجوهرية كعناصر لهواة الجمع، ولم تكن لديه أي معرفة خاصة باللغات الشرقية. كان قد زار الشرق الأوسط عام ١٨٩٢، عندما كان عمره ١٩ عامًا، بعد أنْ أكمل دراسته في لندن وألمانيا، وحينها استيقظ اهتمامه بالعمل الإرسالي لجمعية كويكر بصفته عضوًا ناجحًا ومستنيرًا في الكويكرز، كان كادبوري ميسرًا ومتبرعًا.

لقد رغب في الحصول على المخطوطات كجزء من البرنامج اللاهوتي لكليات سيلي أوك وكجزء من عملها الإرسالي على وجه الخصوص، وكان مرتبطًا بهذا برغبته في رفع المكانة الفكرية للكليات، و(ودبروك) على وجه الخصوص. وكانت المخطوطات بمثابة نقطة جذب لجذب علماء اللاهوت البارزين.

كانت مهمة مينجانا التالية هي فهرسة الكمية الهائلة من المخطوطات التي جمعها طوال الوقت، وكانت العلاقة بين كادبوري ومنجانا علاقة احترافية: فقد أدركت كادبوري طاقة منجانا ومواهبه ووظفته على هذا الأساس. لقد ساعد مينجانا شخصيًا، حيث قدَّم المساعدة المالية وكان منفذًا لوصيته ووصيًا على أطفاله، لكنهم لم يكونوا أصدقاء مقربين أبدًا.

في عام ١٩٣٢م تمَّ افتتاح المكتبة التي بنيت في سيلي أوك لإيواء المجموعة، عاد منجانا إلى برمنغهام بصفته أمينًا لها وعمل على فهرسة المجموعة حتى وفاته عام م١٩٣٧. وتمَّ الحصول على مخطوطات أخرى، بما في ذلك المخطوطات السريانية الإضافية، بعد عام ١٩٣٣م.

والجدير بالذكر أنه لا تتوفر معلومات كافية حول كيفية الحصـول على المخطوطات الفارسـية والتركية والأرمنية والإثيوبية واللاتينية. ولا توجد معلومات كثيرة عن المخطوطات من المجموعات الأخرى المخزنة الآن مع مجموعة مينجانا المركزية. ربما جاء العديد منها من اتصـالات مينجانا، أو تمَّ الحصـول عليها نيابة عنه من قبل العاملين في العمل التبشيري في إيران والهند.

هناك أيضًا مخطوطات فارسية علمانية مصورة ببذخ لا تتناسب مع الأساس اللاهوتي لكادبوري. ربما يكون اكتسابهم قد تأثر بزوجته دوروثي كادبوري، أو بحماس كادبوري لاكتساب رؤية أكبر لثقافة الشعب المسلم الذي كان العمل التبشيري للكويكر مهتمًا به.

يبدو أيضًا أنَّ بعض المخطوطات قد تم شراؤها في بريطانيا حيث تمَّ تمييزها بالقلم الرصاص وسعرها بالجنيه الإسـترليني. ربما يكون زملاء (وودبروك) الآخرون بما في ذلك (لوتفي ليفونيان) وهو أرمني ولد في تركيا وكان زميلًا في (وودبروك) قد حصلوا أيضًا على مخطوطات لشركة كادبوري..

بعد أنْ تولت الجامعة مسؤولية مجموعات كليات سيلي أوك، تمَّ السعي للحصول على لقب MLA وتحقيقه (الذي يديره الآن مجلس الفنون في إنجلترا)، وتمَّ إجراء مسح كامل للحفظ، وكشف هذا أنَّ نسبة عالية من المجموعة كانت مثيرة للقلق، حيث أنَّ ٧١٪ من العناصـر تتطلب المعالجة بشـكل عاجل، وتمَّ تنفيذ برنامج شامل للحفظ والتخزين لمعالجة هذه المشكلة.

في عام ٢٠١٠م تمَّ نقل المجموعة من سـيلي أوك إلى مكتبة أبحاث كادبوري بالجامعة في حرم إدغباستون. ويستمر العمل على إتاحة المجموعة من خلال ePapers Repository وFihrist.

في عام ٢٠١٤م، منحت مؤسـسـة Esmee Fairbairn Charitable Trust مكتبة أبحاث كادبوري أكثر من ٩٤٠٠٠ جنيه إسـترليني للعمل على الوصـول إلى المجموعة والتفاعل معها في مشـروع يسمى نشر الكلمة، يهدف إلى تحسين فهم وتقدير واستخدام مجموعة منجانا لمخطوطات الشرق الأوسط بشكل كبير من خلال: التحقيق في القصص غير المروية وراء المخطوطات وتوثيقها، واختبار استراتيجيات جديدة لإشـراك جمهور أكبر وأكثر تنوعًا بهذه المجموعة المهمة، وتقديم تدريب قائم على العمل مدفوع الأجر للطلاب المهتمين بالعمل في قطاع التراث.

وتقاطع المشـروع مع إعلان الجامعة والتغطية الصـحفية اللاحقة والمعرض العام حول مخطوطة برمنغهام القرآنية، وقد أدى ذلك إلى خلق فرص إضافية للمشاركة بين المهتمين باختلاف دولهم ولغاتهم وثقافاتهم.

المطلب الثاني: دور المخطوطات العربية في جامعة برمنغهام في تعزيز التواصـــل الثقافي والديني بين الحضارتين الغربية والعربية الإسلامية.

تعد جامعة برمنغهام ومكتبة كادبوري من الرواد في مجال تعزيز التواصـــل بين الثقافات المختلفة من خلال جهود مستمرة تهدف إلى فتح قنوات التفاهم والتواصل بين أفراد المجتمع العالمي. يعكس هذا النهج التزامًا بالتنوع الثقافي وتعزيز الحوار بين الثقافات المتنوعة.

كما تبرز مكتبة كادبوري كنموذج للمكتبات الجامعية التي تسعى لتعزيز التواصل الثقافي. يتجلى ذلك في جمعها وحفظها لمجموعة متنوعة من الموارد الثقافية والأدبية، تتكون المجموعات الموجودة في مكتبة أبحاث كادبوري من أكثر من مئتي ألف كتاب نادر يرجع تاريخها إلى عام ١٤٧١م وأكثر من أربعة ملايين مخطوطة.

وتحتوي مجموعة منجانا على أكثر من ثلاثة آلاف مخطوطة شرق أوسطية بأكثر من عشرين لغة، بما في ذلك العربية والسريانية والإثيوبية والجورجية والعبرية والسامرية والأرمنية. مما يعكس التنوع الثقافي الغني.

وتشـكل المكتبة مركزًا حيويًا للبحث والدراسـة، حيث يمكن للطلاب والباحثين الوصـول إلى مصـادر تعكس تراثًا ثقافيًا وأدبيًا متنوعًا، وتتعاون جامعة برمنغهام بشـــكل وثيق مع المكتبة لتعزيز التفاهم الثقافي والتواصل بين طلابها والطلاب الدوليين من مختلف الثقافات والخلفيات.

كما تُنظم الجامعة فعاليات ثقافية متنوعة، مثل الندوات وورش العمل والمعارض، التي تشـــجع على تبادل الأفكار والتجارب بين الطلاب، وتعزز روح التفاهم والاحترام المتبادل بين أفراد المجتمع الجامعي.

كما تقوم بدعم البحث من خلال الفهرسـة، ودعم اسـتشـارة المخطوطات في غرفة القراءة، وخدمة النسخ التصويري، وخدمة الاستشارة المحدودة عبر الإنترنت.

كما تعمل مكتبة كادبوري أيضًـا مع الأكاديميين عبر أقسـام الجامعة لدعم التدريس وتعريف الطلاب والباحثين المستقبليين بإمكانيات البحث في المخطوطات.

كما يقوم المركز في بعض الأحيان بإعارة بعض مقتنياته إلى متاحف وصالات عرض أخرى لعرضها.

إضـافة إلى ذلك فإن الكتالوجات متاحة للجمهور، حيث يمكن لأي شـخص اسـتخدام غرفة القراءة وطلب المواد بمجرد إنشاء بطاقة القارئ عن طريق إنتاج شكلين من أشكال التعريف. باستثناء عدد قليل فقط من العناصر وبعض المخطوطات الهشة للغاية – مثل MS Mingana Islamic Arab 1572a (ما يسـمى "مخطوطة برمنغهام القرآنية") وهي مخطوطة تضـم صـفحتين من القرآن الكريم، عُثر عليها في جامعة برمنغهام؛ اسـتخدم الخبراء في علم المخطوطات مسـارع جامعة أكسـفورد الإشـعاعي والذي يحلل عمر المخطوطات بواسـطة عنصـر الكربون المشـع، وتبيّن أنَّ عمرها يبلغ نحو ١٣٧٠ عامًا واسـتنتج أنَّ المخطوطة قد دونت في فترة السـنوات ٥٦٨-٦٤٥ م، مع العلم أنَّ فترة نبوة النبي محمد قد كانت بين

السنوات ٦١٠–٦٣٢ م، وهذا يعني أنَّ المخطوط دوِّن من قبل شخص عاصر النبي محمد وعاش معه. أو ربما بعد الهجرة النبوية بـ ٧٠ عامًا، وهو ما يجعلها من أقدم نسخ المصحف في العالم، حيث عثرت الدكتورة ألبا فيديلي على المخطوطة عندما كانت تدرس العناصر في مجموعة من مخطوطات الشرق الأوسط كجزء من بحثها للحصول على درجة الدكتوراة، كانت المخطوطة عبارة عن صفحتين من مصحف غير معرّفتين تعودان لأواخر القرن السابع الميلادي. وقد رتبت لفحصهما باستخدام الكربون المشع في وحدة مسارع الكربون المشع في جامعة أكسفورد. قُدّر أنَّ تاريخ المخطوطة يعود للفترة بين عامي ٥٦٨ و٦٤٥ ميلادي بنسبة دقة ٩٥,٤٪.

وقد ذكر الدكتور محمد عيسى والي، المتخصص البارز في المخطوطات الفارسية والتركية في المكتبة البريطانية إنَّ هاتين اللفافتين المكتوبتين بخط يد حجازي جميل ومقروء بشكل مدهش، تعودان بكل تأكيد إلى زمن الخلفاء الثلاثة الأوائل، والخط الحجازي هو من الخطوط العربية التي كان يُكتب بها القرآن في القرن الأول الهجري، وهو ما يجعل الوثيقة إحدى أقدم نسخ القرآن في العالم، وقال الدكتور والي أيضًا: "العثور على هذه المخطوطة، بجمال محتواها الخالص وخطها الحجازي الواضح بشكل مثير، خبر يدخل السعادة إلى قلوب المسلمين"(١٨).

إنَّ هذه المخطوطة النادرة موجودة في مكتبة الجامعة منذ قرن تقريبًا ولم يدرك العلماء أهميتها إلا في الوقت الحالي بعد أنْ قاموا بتحليلها، ويقول الباحثون في هذه الجامعة إنَّ هذه المخطوطة قد كُتبت في عهد النبي محمد، ويؤكد الباحثون في الجامعة أنَّ هذه المخطوطة هي أقدم نص قرآني يتم العثور عليه حتى الآن.

أما البروفسور ديفيد توماس أستاذ اللاهوت في جامعة برمنغهام فيقول: أسفرت الاختبارات التي أُجريت على مخطوطة أوراق برمنغهام عن الاحتمال القوي بأن الكائن الحي الذي أُخذ منه الرق (ورق الكتابة) كان على قيد الحياة خلال حياة النبي محمد أو بعد ذلك بوقت قصير. هذا يعني أنَّ أجزاء القرآن المكتوبة على هذه الرقعة يمكن بدرجة من الثقة أنْ يرجع تاريخها إلى أقل من عقدين بعد وفاة محمد.

الخاتمة:

بعد دراسة التواصل الثقافي – الديني بين الحضارات، ودور المخطوط العربي الإسلامي المحفوظ في مراكز مخطوطات الجامعات الأوروبية في التواصل بين الحضارتين

(جامعة برمنغهام نموذجًا)، توصلت الباحثة إلى:

(١٨) انظر: العثور على صفحات من أقدم نسخ المصحف في برمنغهام، مجلة فلسطين اليوم، العدد (٣٦٤٢)، الخميس ٢٠١٥/٧/٢٣م، ص٣٤.

أولًا: النتائج:

١- التواصل الحضاري والثقافي ضرورة إنسانية، وفريضة وجودية في ظل التقارب الجغرافي والمعرفي والفكري بين الحضارات المختلفة.

٢- لا بدَّ أنْ يقوم التواصل الحضاري إذا أريد له النجاح على أسس منهجية علمية وآليات فكرية وأخلاقية.

٣- تعددت أدوار التواصل الحضاري بين الثقافتين الإسلامية العربية والغربية، في عدد من الصور منها: الفن الإسلامي والمعماري، اللغة العربية، الرحلات العلمية، التراث العلمي.

٤- تقوم الثقافة الإسلامية على المصادر الصحيحة التي تُشكل الفهم الأصيل للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وتحليل التاريخ الإسلامي ومواجهة المشكلات المعاصرة.

٥- وظيفة الثقافة الإسلامية في بناء الهوية تتمثل في: التركيز على خصائص الأمة الإسلامية وحمايتها من الضياع، والحفاظ على شعوب الوطن الإسلامي وتوحيدهم بصورة تضامنية موحدة ضمن ثقافة إسلامية مشتركة، والاهتمام بموضوع الأمان النفسي للأفراد، وتقوية طبيعة الانتماء إلى الدين الإسلامي بغض النظر عن اختلاف لغات وأعراق المسلمين.

٦- تحترم الثقافة الإسلامية الاختلاف وتستثمره في التواصل مع الثقافات الأخرى.

٧- أبرز ما يميّز الثقافة الإسلامية عن غيرها من الثقافات الأخرى هو وحدة عقيدتها ونظمها وأهدافها وتشريعاتها وطريقة عيشها بغض النظر عن اختلاف جنسياتهم وأجناسهم.

٨- الثقافة الإسلامية تستند على مبدأ احترام الثقافات الأخرى وتقبُلها والتفاهم معها، ومع ذلك هذا لا يعني أنَّ تتقبل الثقافة الإسلامية فكرة الاندماج مع الثقافات التي تسعى لهدم الثقافة الإسلامية أو التي لا تستند على مبادئ إنسانية أو أخلاقية.

٩- عملية التواصل الثقافي تعد عملية ضرورية بحيث تتصل ثقافة أمة بثقافة أمة أخرى عن طريق الأدب، والفن، والفكر بحيث أنَّ التواصل الثقافي يشتمل جوانب متعددة ولا يقتصر على جانب دون غيره.

١٠- توجد في بريطانيا العديد من مراكز المخطوطات العربية التي تلعب دورًا حيويًا في الحفاظ على التراث الثقافي، وتعزيز التواصل الثقافي بين الحضارات المختلفة.

١١- تعد جامعة برمنغهام ومكتبة كادبوري من الرواد في مجال تعزيز التواصل بين الثقافات المختلفة من خلال جهود مستمرة تهدف إلى فتح قنوات التفاهم والتواصل بين أفراد المجتمع العالمي.

١٢- توجد بها مخطوطة برمنغهام القرآنية التي عُثر عليها في جامعة برمنغهام؛ ويحلل عمر المخطوطات بواسطة عنصر الكربون المشع أنَّ عمرها يبلغ نحو ١٣٧٠ عامًا.

ثانيًا: التوصيات

١-أوصي الباحثين والباحثات بالتعرف على التراث الإسلامي في الغرب والاهتمام به دراسة وتحقيقًا.

٢-أوصي المسلمين عمومًا والمثقفين منهم خصوصًا بإيصال رسالة الإسلام للغرب عن طريق العلم الصحيح والصورة الحقيقية للإسلام.

٣-أدعوا المثقفين والباحثين المسلمين بضرورة التواصل مع المثقفين والباحثين الغربيين والحوار معهم بالتي هي أحسن.

المصادر والمراجع:

أضواء على الثَّقافة الإسلاميَّة، نادية شريف العمري، مؤسَّسة الرِّسالة، ط١.

تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، دار التراث، بيروت، ط٢.

ثقافة الحركات الاجتماعية الجديدة: مقاربات أنثروبولوجية، سيد فارس، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠٢٣م.

الحضارة الإسلامية ثقافة وفن وعمران، عبد السلام كمال، بروج الكتب، ٢٠١٧م.

الحضارة وأسسها في الإسلام، تاج الدين، ياسر.

الخطاب اللغوي في وسائل التواصل الاجتماعي– من وجهة نظر تداولية، مجلة الدراسات اللغوية، المجلد ٢١، العدد ٤، شوال – ذو الحجة ١٤٤٠هـ- يونيو – اغسطس ٢٠١٩م.

السيرة النبوية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ١٣٩٥هـ-١٩٧٦م.

صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

العثور على صفحات من أقدم نسخ المصحف في برمنغهام، مجلة فلسطين اليوم، العدد (٣٦٤٢)، الخميس ٢٠١٥/٧/٢٣م.

القاموس المحيط، الفيروز آبادي، دار تحقيق التراث، ط٢.

لسان العرب، ابن منظور، ط٣.

محاضرات في الثقافة الإسلامية، أحمد محمد جمال، مؤسسة دار الشعب، ١٩٧٥م.

معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر وآخرون، عامل الكتب، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

معجم مقاييس اللُّغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

https://www.birmingham.ac.uk/facilities/cadbury/birmingham-quran-mingana-collection/mingana-collection/spreading-the-word.aspx